وما سواها (383)

أنشـــودة المطـــر ومـــا خطـــر!!

د. صادق السامرائي- الطب النفساني، العراق / أمريكا

التشريح النفسي لقصيدة أنشودة المطر لرائد الشعر الحر بدر شاكر السياب , ربما يستكشف أعماق اليراع الذي كتبها , والنفس التي تفاعلت مع مفرداتها وإيقاعاتها ونبضاتها العاطفية والإنفعالية والفكرية , وكيف بقيت ذات طعم خالد.

التشريح النفسي لقصيدة أنشودة المطر لرائد الشعر الحر بدر شاكر السياب , ربما يستكشف أعماق اليراع الذي كتبها , والنفس التي تفاعلت مع مفرداتها وإيقاعاتها ونبضاتها العاطفية والإنفعالية والفكرية , وكيف بقيت ذات طعم خالد.

وهذه المحاولة تهدف إلى وعي الصورة الشعرية وتحليل مكوناتها التعبيرية النفسية والعقلية.

تبدأ القصيدة بكلمة "عيناك" , والعين تبوح بالمعاني واللغات التي تعجز عن إحتوائها أبجديات الكلام , ذلك أن الروح بطاقاتها وقدراتها الخلقية والإبداعية تنحبس في الأعماق ويتعذر التعبيرعنها بالكلمات , فتتحول العيون إلى ينابيع بوح صادق وأليم ومضرج بالحزن والمرارة والحرمان.

تبدأ القصيدة بكلمة "عيناك" , والعين تبوح بالمعاني واللغات التي تعجز عن إحتوائها أبجديات الكلام , ذلك أن الروح بطاقاتها وقدراتها الخلقية والإبداعية تنحبس في الأعماق ويتعذر التعبيرعنها بالكلمات , فتتحول العيون إلى ينابيع بوح صادق وأليم ومضرج بالحزن والمرارة والحرمان.

لكن الشاعر يقلب تلك الصورة المأسوية فيقرن بين غابات النخيل البصراوية المتهامسة عند السَحر والمعبرة عن طاقات الحياة والعطاء , وفي هذا توحد وتمثل مطلق يكون العاشق فيه لا يرى حبيبته كما هي , وإنما مثلما يتمثلها في خياله ورؤاه الشعرية المعتقة في قوارير الحب الفتان.

وبهذا تكون العينان في حالتي تمثل جمالي متساوق مع نبضات الأشواق والأحلام واللهفة. وهذا توحد جزئي يريد به الكلية لأن وجود الحبيبة وصورتها الخيالية قد تكثفت في العينين , ولذلك فأن التعبير يمتلئ بالصدق والحس الشاعري الإنساني الفياض , لأن ما يريده من شدة إنحباسه يفيض من العيون , فتكون النظرة أغنى من كتاب.

ويبدو أن الشاعر يجيد قراءة العيون ويترجم أبجدية النظرات بأسلوب إنتصر فيه على قيود الشعر العمودي , وحرر النفس والروح من أصفاد العروض , فكانت العيون منطلق الإرتقاء بثورة الحرية الفكرية والفنية , لأن العيون ترمز للحرية والجمال والصفاء والإنتماء.

ويبدو أن الشاعر يجيد قراءة العيون ويترجم أبجدية النظرات بأسلوب إنتصر فيه على قيود الشعر العمودي , وحرر النفس والروح من أصفاد العروض ,

عيناكِ غابتا نخيلٍ ساعةَ السحر

في وقت السحر تكون العيون الناعسة المستريحة متحررة من أعبائها , فتبدو في غاية النقاء والروعة الخلابة التي تداعب أنياط القلوب , فكان الوصف دقيقا وموسوعيا فيما تلاه من تطورات في الصورة الشعرية , والتركيبات الأسلوبية المؤثرة في النفس والروح.

أو شرفتانِ راحَ ينأى عنهُما القمر

في هذا رسم لحالة النعاس وبهاء بريق الحياة المنبثق من العيون , التي تكثفت فيها طاقة الوجود والنماء والتجدد والبقاء , وكأن وهج الروعة بدأ يخبوا بإنسيابية نأي القمر عن الأشهاد وقت السحر الصافي الساكن العذيب.

عيناكِ حين تبسمانِ تُورقُ الكروم

وهنا يتحول رفيف الأجفان إلى إبتسامات , لكن المقل الثرية بالمشاعر والأحاسيس , كأنها سكرى بالأشواق والأمل , ولهذا أورقت الكروم لتسقيها بسلاف روحٍ إنتشر.

وترقصُ الأضواءُ .. كالأقمارِ في نهر

دفق الحياة الوثاب في فضاء العينين إستنزل الأكوان وإمتد في رحاب المطلق البعيد , فصارت الأضواء تنعكس فيه وتتلألأ الأقمار وتتجدد الصور.

يرجُّهُ المجدافُ وَهْناً ساعةَ السحر

وكأنه يقرأ لغة الأجفان ويقرنها ببيئته , ويقارن ما بين إيقاعاتها الناعسة وحركة المجداف , الذي يحركه إنسان هده تعب الليل , وهو يسعى بالظفر بصيد يعينه على مشقة الأيام.

كأنّما تنبُضُ في غوريهما النجوم

..... وفي هذا المقطع لم يقنع بما يرى بل أخذ يغوص عميقا جدا في قاع العيون بمنظاره الشعري وآلة خياله التواق , فيرى نجوما أخرى , لأن العيون صارت طبقات أكوان ومختصر وجود أعظم.

وتغرقان في ضبابٍ من أسىً شفيف...

ويخيل للقارئ أن الرحلة الخلابة في عيون المعشوقة تحولت إلى صورة بانورامية , لأن الحبيبة تتوطن خيالا متدفقا ومعبرا عن طاقات لا محدودة تخشى منها الحروف والكلمات.

وهكذا تهب ومضات الأسى وتتبارق حولهما , فيراهما الشاعر ضبابا لأن صفاء النظر قد شابه التعب , وأفقده بعد المنال توهج حرارته ونماء إرادته الإنسانية.

كالبحرِ سرَّحَ اليدينِ فوقَهُ المساء...

هذا النهر الدافق قد سكن في بحر ذي أمواج صاخبة لا تهدأ لكن المساء أوهمنا بسكينته , وما هو إلا قوة فوارة معتلجة بالطاقات.

وانطبقت الأجفان وما كان الشاعر يرى إلا سواد المقل قبل أن تغيب الحبيبة في رحلة الهجوع وأنها البحر.

دفءُ الشتاءِ فيه وارتعاشةُ الخريف...

وكأنه يقرن ما بين البحر والعيون حيث الدفئ اللذيذ في أعماقه , المسكونة بالأحياء وأمواجه التي قرنها بالخريف , وهذا يرمز إلى غياب الجمال وإنعدام العطاء والتواصل الفعال مع الأشياء , فهدأت الحبيبة واستوحش الحبيب.

فكانت العيون منطلق الإرتقاء بثورة الحرية الفكرية والفنية , لأن العيون ترمز للحرية والجمال والصفاء والإنتماء

في وقت السحر تكون العيون الناعسة المستريحة متحررة من أعبائها , فتبدو في غاية النقاء والروعة الخلابة التي تداعب أنياط القلوب , فكان الوصف دقيقا وموسوعيا فيما تلاه من تطورات في الصورة الشعرية , والتركيبات الأسلوبية المؤثرة في النفس والروح

أو شرفتانِ راحَ ينأى عنهُما القمر
في هذا رسم لحالة النعاس وبهاء بريق الحياة المنبثق من العيون , التي تكثفت فيها طاقة الوجود والنماء والتجدد والبقاء , وكأن وهج الروعة بدأ يخبوا بإنسيابية نأي القمر عن الأشهاد وقت السحر الصافي الساكن العذيب

يرجُّهُ المجدافُ وَهْناً ساعةَ السحر
وكأنه يقرأ لغة الأجفان ويقرنها ببيئته , ويقارن ما بين إيقاعاتها الناعسة وحركة المجداف , الذي يحركه إنسان هده تعب الليل , وهو يسعى بالظفر بصيد يعينه على مشقة الأيام

والموتُ والميلادُ والظلامُ والضياء...

في لحظة التبصر والإدراك العميق لمعاني القوانين الكونية العظمى , المنبثق من مشهد العيون في رحلتها الحرمانية القاسية , تشخص المتناقضات وتنطبق الكليات على الجزئيات , ويكون صوت الحياة واحد , غياب وحضور , وحضور وغياب , ودوران في قفص الوجود كالبلبل المذبوح بصوته الفتان , وما غناؤه إلا بكاء أليم وإنفجارات روح في حنجرة الأسير.

فتستفيقُ ملء روحي، رعشةُ البكاء...

بهذا الوعي الأليم يفقد الإنسان لغاته ويبدأ البكاء صولته , لكي ينقي الأعماق من صديد هول الحرمان وفقدان الرجاء , فينأى بما يريد إلى غير وجهته , أي يتسامى إلى ما لا يريد ليحافظ على ما يريده ويبتغيه من الآمال والرغبات المخنوقة في دياجير فؤاده الكسير.

ونشوة وحشية تعانق السماء...إنها نشوة متدفقة ذات سمات حرمانية , ومعوقات أرضية , فلا يمكنها أن تتحقق فوق التراب , ولا بد لها أن تطوف السماء , وترج أركانها , لأنها من شدة الإختناق فقدت صوابها وتوحشت وأمعنت بصيرورتها الفنائية العلوية , فتماهت بطاقة السماء.

كنشوةِ الطفلِ إذا خاف من القمر...

ويدخل الطفل في المشهد ليرمز إلى تحطم القيود , والتمني بالتعبير عن الرغبات المكبوتة بحرية الطفل الذي لا يعرف الممنوع , وأنه يسعى إلى ما يريده بحرارة عواطفه وطاقة مشاعره البقائية.

نشوة العاشق المتيم المحروم , تشق لها دروبا في خلجان النفس , وتصل إلى ما تريده من اللذة والتوحد مع المعشوق.

كأنَّ أقواسَ السحابِ تشربُ الغيوم

المقطع يشير إلى تعبير رمزي عن الرغبة الجياشة المتحرقة التواقة للإندماج المطلق في بدن المحبوب , والتغلغل بكيانه والسريان بعروقه , ويتحقق بعد ذلك الإعتصار العنيف , فينزفان حقيقتهما الذاتية ويسريان في كيان الوجد السرمد , وكأن السحاب ذكرا والغيوم أنثى أو العكس.

وقطرةً فقطرةً تذوبُ في المطر

هذا التداخل الإنساني الروحي العميق يتجسد بأن الحبيبين فتحولا إلى صيرورة واحدة متسربة في الصيرورات الأخرى , واللذة القصوى تتجسد في ذلك.

وكركرَ الأطفالُ في عرائش الكروم...

وبعد التفاعل الخيالي مع المحبوبة المأسورة بالممنوعات والتقاليد الجائرة , يكون التحدي بطاقات الخيال فيتحقق التفاعل في الفضاء , وتلد مسيرة العشق أثمار التلاحم النفسي والبدني , فيكون الشاعر في حضرة الخيال المجسد لما لا يكون إلا فيه.

ودغدغت صمتَ العصافيرِ على الشجر..

.وبغتة يستفيق من رحلته العميقة في العيون , ويصغي إلى إنشودة المطر التي أخذت تنبه الأحياء

تغرقان في ضبابٍ من أسىً شفيف...
ويخيل للقارئ أن الرحلة الخلابة في عيون المعشوقة تحولت إلى صورة بانورامية , لأن الحبيبة تتوطن خيالا متدفقا ومعبرا عن طاقات لا محدودة تخشى منها الحروف والكلمات

دفءُ الشتاءِ فيه وارتعاشةُ الخريف...
وكأنه يقرن ما بين البحر والعيون حيث الدفئ اللذيذ في أعماقه , المسكونة بالأحياء وأمواجه التي قرنها بالخريف , وهذا يرمز إلى غياب الجمال وإنعدام العطاء والتواصل الفعال مع الأشياء , فهدأت الحبيبة واستوحش الحبيب

الموتُ والميلادُ والظلامُ والضياء...
في لحظة التبصر والإدراك العميق لمعاني القوانين الكونية العظمى , المنبثق من مشهد العيون في رحلتها الحرمانية القاسية , تشخص المتناقضات وتنطبق الكليات على الجزئيات , ويكون صوت الحياة واحد , غياب وحضور , وحضور وغياب , ودوران في قفص الوجود كالبلبل المذبوح بصوته الفتان , وما غناؤه إلا بكاء أليم وإنفجارات روح في حنجرة الأسير

والبشر....

أنشودة المطر

مطر

مطر

مطر...

العلاقة بين الإنسان العراقي والمطر ليست حميمة , وإنما هي قاسية وتشير إلى ما سيحصل من سيول وفيضانات وتداعيات مأساوية إلى بضعة عقود مضت , برغم أن المفهوم العام هو الخير , لكن الأعماق الخفية ترى غير ذلك , فللمطر تداعيات نفسية وسلوكية ذات نتائج متعددة في دنيانا , ففي القصيدة حزن حرماني موجع وقاسي يستدعي الذكريات المتلائمة معه , والمؤازرة لسيرورته العاطفية وكثافته الإنفعالية القاتمة.

ومن أقسى حالات الحزن أن تتلقى المدارك إشارات الخير والنماء على أنها غير ذلك , فيكون المطر مفتاحا لبوابة الأحزان التي تندلق معانيها وشواهدها في عبارات القصيدة.

تثاءبَ المساءُ والغيومُ ما تزال

تسحّ ما تسحّ من دموعها الثقال...

هنا يتجلى الكسل والتراخي وفقدان العزيمة والإستسلام , فتغيب روح التحدي والمواجهة والإصرار على صناعة الحياة , فصار المساء يتثاءب متكاسلا ومحاصرا بيأسه وحزنه , وكأن الغيوم تشاركه همومه فتبكي بدلا عنه , أو تبكي معه , لأن دموعها قد تخزنت وتكثفت وإزدادت ثقلا وغزارة لدرجة ما عادت تمتلك القدرة على لجم جماح تدفقها وإنهمارها الغزير على سفوح الآلام.

كأنّ طفلاً باتَ يهذي قبلَ أنْ ينام...

وفي ذروة اليأس والقنوط , يتحقق الهذيان , أو تخيل الأشياء الغير موجودة , يكون الإنسان في أجواء تساقط المطر وكأنه السجين المقيد , الأسير في ذاته ومكانه ولا يمتلك القوة على الحركة والتعبير عن الحياة الجميلة , فيستكين لأراجيف التصورات والرؤى السوداوية , التي تستدعي ما يناهض الحياة.

بأنّ أمّه – التي أفاقَ منذ عام...

المقطع حاد في التعبير عن الفقدان وشدته وقوته العاطفية وتأثيره في السلوك والتفاعل مع المحيط , وكأنه يريد القول بأن الإنسان في بلاده , قد فقد الرعاية والأمومة , فاصبح تائها بلا دليل ولا تربية , ويتخبط ويتأمل على أن شيئا ما سيتحقق ذات يوم ويتمكن من التفاعل الصحيح مع الحياة.

فلم يجدْها ، ثم حين لجَّ في السؤال...البحث عن المفقود لا يؤدي إلى نتيجة وإنما يدفع إلى سلوكيات مخادعة وتضليلية تجانب الحقيقة وتنكرها , لأننا لا نريد أن نواجه أنفسنا بل نخدعها , ونبرر لها ما تقوم به , ونسقطه على غيرها إن كان غير مقبول.

وهذا سياق ثابت في تربيتنا منذ الطفولة وينعكس على تفاعلاتنا في المجتمع عموما.

قالوا له: "بعد غدٍ تعود" ...

وهكذا يتم تجسيد سلوك الكذب والتضليل كأسلوب مريح ومساهم في مساعدة الإنسان على مواجهة

كنشوةِ الطفلِ إذا خافَ من القمر...
ويدخل الطفل في المشهد ليرمز إلى تحطم القيود , والتمني بالتعبير عن الرغبات المكبوتة بحرية الطفل الذي لا يعرف الممنوع , وأنه يسعى إلى ما يريده بحرارة عواطفه وطاقة مشاعره البقائية

قطرةً فقطرةً تذوبُ في المطر
هذا التداخل الإنساني الروحي العميق يتجسد بأن الحبيبين فتحولا إلى صيرورة واحدة متسربة في الصيرورات الأخرى , واللذة القصوى تتجسد في ذلك.

مطر...
العلاقة بين الإنسان العراقي والمطر ليست حميمة , وإنما هي قاسية وتشير إلى ما سيحصل من سيول وفيضانات وتداعيات مأساوية إلى بضعة عقود مضت , برغم أن المفهوم العام هو الخير , لكن الأعماق الخفية ترى غير ذلك , فللمطر تداعيات نفسية وسلوكية ذات نتائج متعددة في دنيانا

تثاءبَ المساءُ والغيومُ ما تزال
تسحّ ما تسحّ من دموعها الثقال...
هنا يتجلى الكسل والتراخي وفقدان العزيمة والإستسلام , فتغيب روح التحدي والمواجهة والإصرار على صناعة الحياة , فصار المساء يتثاءب متكاسلا

الحرمان , فلا يتأكد العمل بالبحث والجد والإجتهاد , وإنما بالتجافي والتجاهل وخداع الذات وتخديرها حتى تستكين وتذعن لحالها وظروفها , لكي تبقى وتتواصل مستعذبة البؤس والحرمان.

لا بدّ أنْ تعود...

يتأكد الكذب ويتكرر بحيث يكون اليقين محض إفتراء , فكيف يكون الصدق بعد ذلك هو السلوك المفيد , ما دام الطفل قد كُذِب عليه في أدق حالاته الإنفعالية وأصعبها.

فكيف تعود الأم ؟

في هذه الحالة عليه أن يتخيلها ويتوهمها ويتصور كيف تتفاعل معه وتستجيب لحاجاته , وبهذا يتم خلق إنسان مقطوع عن محيطه , ومنشطر عنه وبذلك لا يمكنه أن يغيره أو يضيف إليه لأنه في حالة إنقطاع تام عنه.

وإنْ تهامسَ الرِّفاقُ أنّها هناك...

مرة أخرى يتكرر مشهد مأساوي تربوي يؤدي إلى بذر الشك وعدم الثقة في الإنسان , فالكذب الموجع , والتفاعل الذي يدعو إلى الحيرة وعدم الثقة ينمي قدرات الشك عند الإنسان , ولذلك فالإنسان يكون ميالا للشك وسوء الظن كثيرا بغيره وحتى بأقرب الناس إليه.

في جانبِ التلِ تنامُ نومةَ اللحود،...

نعم إنها هناك لكننا نكذب عليك لنتخلص منك ومن تداعيات معرفتك بحقيقة أمرها , فلن نقول لك الصدق وما عليك إلا أن تكتشفه بنفسك بعد رحلة شقاء وكدر , وفي ذلك تنمية لمشاعر الغضب والعدوان والكراهية والإنتقام , لأن الطفل سيبقى يتساءل بحسرة عن الكذب والتضليل الذي صاغ حياته بطريقة أخرى , وأخذها في مسالك متعثرة وغير مجدية , وحالما إصطدم بالواقع القاسي , تنطلق مشاعره وإنفعالاته المحبوسة المضغوطة , فتفعل ما تفعله في محيطه الظالم المضاد لمسيرته الآدمية.

تسفُّ من ترابها وتشربُ المطر ...

تعبير ثقيل وأليم , فالمطر لا يصلح للأحياء وإنما هو يتسرب إلى مواضع الأموات ويزيدهم موتا , وبهذا تتحقق الصورة الحقيقية عن العلاقة بالمطر , ولا بد من الغوص في أعماق الصورة وتعبيراتها السلوكية والإنفعالية.

فالمطر يظهر كفعل تراجيدي غريب , لا يمكن تفسيره بسهولة , فالإنسان يستاء من المطر ولا يريده , لأن البيوت كانت من الطين , وتصريف المياه متخلف وغير موجود , وكم يفيض النهران بسبب المطر ولا يستطيع الإنسان من مواجهة شراسة الفيضان , وكأنه العدوان الذي يهاجم الناس كل ربيع , حتى نهاية الستينيات من القرن العشرين.

ولم يستريح الناس من فيضانات النهرين إلا في العقود القليلة الماضية , فالمطر عدوان , ولا ينفع إلا الأموات , وقد يخلصهم من فم التراب ويجرفهم إلى حيث الذوبان في تيارات المياه المتواصل مع دورة الماء في الطبيعة المتغيرة.

وهذا موقف سلبي ومناقض لطبيعة الأشياء , فالمطر هو الخير , والإنسان ما تعلم مهارات التواصل معه وإستثمار مياهه في التنمية الإقتصادية , حتى غاب المطر وندر , فصار الجفاف ضاربا والمطر

ومحاصرا ببأسه وحزنه , وكأن الغيوم تشاركه همومه فتبكي بدلا عنه , أو تبكي معه

كأنّ طفلاً باتَ يهذي قبلَ أنْ ينام...
وفي ذروة اليأس والقنوط , يتحقق المحذيان , أو تخيل الأشياء الغير موجودة , يكون الإنسان في أجواء تساقط المطر وكأنه السجين المقيد , الأسير في ذاته ومكانه ولا يمتلك القوة على الحركة والتعبير عن الحياة الجميلة , فيستكين لأراجيف التصورات والرؤى السوداوية , التي تستدعي ما يناهض الحياة.

قالوا له: "بعد غدٍ تعود" ...
وهكذا يتم تجسيد سلوك الكذب والتضليل كأسلوب مريح ومساهم في مساعدة الإنسان على مواجهة الحرمان , فلا يتأكد العمل بالبحث والجد والإجتهاد , وإنما بالتجافي والتجاهل وخداع الذات وتخديرها حتى تستكين وتذعن لحالها وظروفها , لكي تبقى وتتواصل مستعذبة البؤس والحرمان

في جانبِ التلِ تنامُ نومةَ اللحود...
نعم إنها هناك لكننا نكذب عليك لنتخلص منك ومن تداعيات معرفتك بحقيقة أمرها , فلن نقول لك الصدق وما عليك إلا أن تكتشفه بنفسك بعد

رحلة شقاء وكدر

عزيزا ومجهولا في أكثر الأحيان.

كأنّ صياداً حزيناً يجمعُ الشباك...
ويلعنُ المياهَ والقدر
وينثرُ الغناء حيث يأفلُ القمر
مطر، مطر، المطر

الفرق بين صياد همنغواي وصياد شاعرنا كالفرق ما بين القطبين , وكأننا ما قرأنا ملحمة جلجامش التي ترجمها صياد همنغواي.

الصياد حزين ويائس وتم تفريغه من طاقات التحدي والإصرار , وشحذه بالإنفعالات السلبية القاسية , والتفاعلات الإسقاطية الإستسلامية للقوى والقدرات الأخرى , أيا كان عنوانها ورمزها , ولكي يزيح مشاعره الأليمة البائسة , لا بد له من الغناء الذي يرسم فيه لوحة نفسه ويسكب أنواء عجزه.

وبهذه الصور القاتمة الدامعة المتحسرة الكسيرة تتسم الأغاني والشعر الذي يؤكد في ألفاظه وإيقاعاته الرقص على أوردة نزيف الأجيال المذبوحة بالحرمان والظلم والإمتهان.

وهكذا يبدو المطر وسيلة إجهاضية سلبية , تدين فقداننا لمهارات إستثماره وتوظيفه لصناعة الحياة الأفضل.

أتعلمين أيَّ حزنٍ يبعثُ المطر؟
وكيف تنشجُ المزاريبُ إذا انهمر؟
وكيف يشعرُ الوحيدُ فيه بالضياع؟
بلا انتهاء_ كالدمِ المُراق، كالجياع
كالحبّ كالأطفالِ ، كالموتى–
هو المطر ....

وتعلو صرخة النفور من المطر والتخاطب معه على أنه عدو للوجود , وليس مبتدأ إنطلاق روافد الحياة ومشيد حلتها الوارفة الخضراء , فتعلن المزاريب بكاءها ويتصاعد عويلها , وتهديداتها ووعيدها لأن المطر سيجرف الأشياء وبسببه تتهاوى البنايات , لأننا ما تعلمنا كيف نجعل الطين يقاوم المطر , وشيدنا بيوتنا من الطين الذي يعشق المطر ويتفاعل معه لصناعة الحياة المعطاء , وبفعلنا حرمنا الطين من دوره ورسالته وإعتدينا على حرمته ومصيره , فالطين من أدوات الخلق المتجدد ولا يمكن حشره في جدار , ولهذا فأن المطر الشديد عنوان وعيد وخطر.

وفي المقطع تجتمع متناقضات فاعلة في السلوك , الجوع والحرمان والوحشة والقتل والمطر !!
فكيف تتفق مع المطر؟
إن في ذلك دليل على أن الإنسان قد تنازل عن دوره الخلاق , ومسؤوليته في المساهمة بالحياة الأفضل , وإستثمار المطر في صناعة الطعام وتنمية الإقتصاد.

فالناس تلهو ببعضها وتستعذب سفك الدماء والتناحر والتصارع على الأشياء بسبب آفة العجز

تسفحُ من ترابها وتشربُ المطر ...

تعبير ثقيل وأليم , فالمطر لا يصلح للأحياء وإنما هو يتسرب إلى مواضع الأموات ويزيدهم موتا , وبهذا تتحقق الصورة الحقيقية عن العلاقة بالمطر , ولا بد من الغوص في أعماق الصورة وتعبيراتها السلوكية والإنفعالية

كأنّ صياداً حزيناً يجمعُ الشباك...
ويلعنُ المياهَ والقدر
وينثرُ الغناء حيث يأفلُ القمر
مطر، مطر، المطر

أتعلمين أيَّ حزنٍ يبعثُ المطر؟
وكيف تنشجُ المزاريبُ إذا انهمر؟
وكيف يشعرُ الوحيدُ فيه بالضياع؟
بلا انتهاء_ كالدمِ المُراق، كالجياع
كالحبّ كالأطفالِ ، كالموتى–
هو المطر ....

تعلو صرخة النفور من المطر والتخاطب معه على أنه عدو للوجود , وليس مبتدأ إنطلاق روافد الحياة ومشيد حلتها

والإستسلام. ولهذا فأن كل موجد دامع حزين ويائس ولا يعرف إلا أن يرى بعيون ذات آليات إدراك محنطة.

ومقلتاك بي تطيفان مع المطر
وعبرَ أمواجِ الخليجِ تمسحُ البروق
سواحلَ العراقِ بالنجومِ والمحار،
كأنها تهمُّ بالشروق
فيسحبُ الليلُ عليها من دمٍ دثار
أصيحُ بالخليج: "يا خليج
يا واهبَ اللؤلؤ والمحارِ والردى"
فيرجع الصدى
كأنّهُ النشيج:
"يا خليج: يا واهب المحار والردى"

في المقطع تحليق وهروب من مواجهة الواقع والصعود إلى أكوان الفنتازيا والخيال الساعي إلى إرضاء الحاجات بتصورها وتمنيها , فما دام الإنسان عاجزا عن مواجهة مصيره وقيادة أمره , فمن الأفضل أن يندا ح في مواقد العيون ويناجيها ويحسبها بساط الريح , فقد تجمعت فيها أسرار المطر وعواديه وما يتصل به من الأحزان والمشاعر والعواطف القاسية , فالعيون يحمّلها الرجل كل ما يريده ويراه , فينعكس ما فيه من الهموم فيها , فهي مرآة نفسه وصدى صراخات أنينه وحرمانه.

وعندما يستجير بالخليج , لا يحصل إلا على الصدى , وهو تعبير وتعزيز لمشاعر اليأس وعدم القدرة على الفعل والإبداع الحياتي العملي المتجدد المتسابق مع عجلات العصر الدوارة.

نعم إنه الصدى , فالواقع الذي حولنا هو الصدى الأصيل لما فينا , فما دام العجز سيدنا , فأن كل ما حولنا يبعثه ويشير إليه ويعبّر عنه بوضوح وبسالة.

أكادُ أسمعُ العراقَ يذخرُ الرعود
ويخزنُ البروقَ في السهولِ والجبال
حتى إذا ما فضّ عنها ختمَها الرجال
لم تترك الرياحُ من ثمود
في الوادِ من أثر
أكادُ أسمعُ النخيلَ يشربُ المطر
وأسمعُ القرى تئنّ، والمهاجرين
يصارعون بالمجاذيفِ وبالقلوع
عواصفَ الخليجِ والرعود، منشدين
مطر.. مطر .. مطر

في هذا المقطع تتلخص القصيدة بفكرتها الأصلية وما فيها من آليات التفاعل والحراك , فطاقات الحرمان المكبوتة بقوة مكابس الظلم والقهر والإستبداد والجهل والتبعية وسحق الإنسان وتجريده من آلة

الوارفة الخضراء , فتعلن المزاريب بكاءها ويتصاعد عويلها , وتهديداتها ووعيدها لأن المطر سيجرف الأشياء وبسببه تتهاوى البنايات , لأننا ما تعلمنا كيف نجعل الطين يقاوم المطر

في المقطع تجتمع متناقضات فاعلة في السلوك , الجوع والحرمان والوحشة والقتل والمطر!!
فكيف تتفق مع المطر؟
إن في ذلك دليل على أن الإنسان قد تنازل عن دوره الخلاق , ومسؤوليته في المساهمة بالحياة الأفضل , وإستثمار المطر في صناعة الطعام وتنمية الإقتصاد

أكادُ أسمعُ العراقَ يذخرُ الرعود
ويخزنُ البروقَ في السهولِ والجبال
حتى إذا ما فضّ عنها ختمَها الرجال
لم تترك الرياحُ من ثمود
في الوادِ من أثر
أكادُ أسمعُ النخيلَ يشربُ المطر
وأسمعُ القرى تئنّ، والمهاجرين
يصارعون بالمجاذيفِ وبالقلوع
عواصفَ الخليجِ والرعود، منشدين
مطر.. مطر .. مطر

يكون المطر متوالية هندسية من التداعيات والملفات

القاسية التي تفتك بالشعب على مر العصور.
فمن الذي يمتلك قدرات الخروج من هذه الدائرة المفرغة المأساوية الحزينة الدامعة المنهمرة الروح كالمطر؟!

عقله , كلها تعودت الإنفجار بين حين وآخر , وحالما تنفجر تقضي على ما حولها وعلى نفسها , لأن الطاقات المنفلتة تكون عمياء مضطربة ومشوشة وتجهل العقلانية والحكمة وتنكر الهدوء , فما أن تنطلق حتى تصنع مأساة جديدة تساهم في ترسيخ متوالية المآسي.

ويكون المطر متوالية هندسية من التداعيات والملمات القاسية التي تفتك بالشعب على مر العصور.

فمن الذي يمتلك قدرات الخروج من هذه الدائرة المفرغة المأساوية الحزينة الدامعة المنهمرة الروح كالمطر؟!

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa383-301224.pdf

*** *** ***

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com

الكتاب السنوي 2024 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار السادس عشر)

الشبكة تدخل عامها 24 من التأسيس و 22 على الويب

24 عاما من الكدح... 22 عاما من المنجزات

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf

كتاب "حصاد النشاط العلمي لمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2023

التحميل من الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet-AlHassad2023.pdf

الكتاب الذهبي لشبكة العلوم النفسية العربية للعام 2024 (الفصل السابع: من الكتاب السنوي للشبكة)

التحميل من الموقع العلمي
http://arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynetGoldBook.pdf

اشتراكات العضوية بمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2024

اشتراكات العضوية

عضوية "الشريك الفخري الماسي المميّز" / "الشريك الفخري الماسي"

عضوية "الشريك الشرفي الذهبي "
http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3

*** *** ***

شاركونا اعمالنا على صفحاتكم للتواصل الاجتماعي....

معا يصل صوتنا ومعكم نذهب أبعد...

معا نرقى بانساننا، فترقى مجتمعاتنا فأوطاننا، فامتنا